للاستاذ الكبير عبد الوهاب خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين • اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » •

سورة الفاتحة من أوائل ما أنزل من القرآن على رسول الله بمكة • وعدد آياتها سبع ، وقد أجمل الله فيها كل ما قصد اليه بالقرآن ، فآيات القرآن التى عددها نحو ستة آلاف هى تفصيل لما أجمل فى هذه السبع الآيات

وبيان هذا أن مقاصد القرآن الكريم ومقاصد كل كتاب الهى يجمعهما أمران : أولهما تنظيم علاقة الناس بربهم ، وثانيهما تنظيم علاقة الناس بعضهم ببعض ، ولهذين الأمرين أرسل الله رسله بالبينات ، وأنزل عليهم كتبه بالحق •

فأما تنظيم علاقة الناس بربهم فيقوم على أسس ثلاثة : أن يعترفوا بنعمه وباستحقاقه حمدهم وثناءهم على ما أولاهم منها ، وأن يؤمنوا باتصافه بصفات الكمال التى تقتضيها ألوهيته ، وأن يتجهوا اليه وحده بعبادته والاستعانة به • وهذه الأسس الثلاثة أجملها قول الله جل ثناؤه :

« الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين • اياك نعبد واياك نستعين » •

فالحمد لله اعتراف العبد بلسانه عن اذعانه بقلبه بأن الثناء والشكر حق مستحق عليه لربه لما أسبغ عليه من نعمه الظاهرة والباطنة •

ورب العالمين هو مربى الخلق جميعهم ومدبر كل شئونهم ، فهو مدبر الاجسام بامدادها بأسباب الحياة والبقاء والرعاية والوقاية ، وهو مدبر العقول بتعهدها بأسباب الهداية والتثقيف ، وهو مدبر النفوس • بوسائل التهذيب والتكميل ، وهذه التربية العالمية الشاملة لا تكون الا عن علم محيط ، وقدرة تامة ، وارادة مطلقة ، وحكمة بالغة •

والرحمن هو الذى من صفات ذاته الرحمة •

والرحيم هو الذى تفيض على خلقه آثار رحمته ، وتشملهم آيات نعمه جليلها ودقيقها ، وظاهرها وخفيها •

ومالك يوم الدين ، هو مالك الامر والسلطان والتصرف المطلق فى يوم الحساب والجزاء ، فالأمر يومئذ له وحده ، ولا يشفع أحد عنده الا باذنه ولا يتكلم الا من أذن له .

اياك نعبد واياك نستعين ، أنت وحدك الذى نعبده ، أى نخضع له غاية الخضوع عن ايمان بعظمته ، واذعان لألوهيته ، وأنت وحدك الذى نستمد منه العون فى السراء والضراء عن ايمان بقدرته ورحمته .

وأما تنظيم علاقة الناس بعضهم ببعض ، فقد أجملها قول الله سبحانه : « **اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين** » ذلك لأن الصراط المستقيم ، هو الدين القويم الذى أرشد الله عباده اليه ليقوموا بالقسط ويحقوا الحق كما قال سبحانه : « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** » فالاهتداء الى الصراط المستقيم واجتناب طريق المغضوب عليهم والضالين هو الذى يكفل تنظيم علاقة الناس بعضهم ببعض ، ويباعد بينهم وبين البغى والعدوان .

فالمسلم اذ يقرأ سورة الفاتحة يبتدىء بالثناء على ربه والاعتراف باستحقاقه الحمد على نعمه ، ثم يذكر ربه بصفات الكمال التى تليق بألوهيته وتشعره بعظمته وقدرته وقهره ورحمته ، ثم ينتقل من الغيبة الى الحضور ، ومن ذكر الصفات الى مخاطبة الذات ، فيتوجه بالخطاب اياك نعبد واياك نستعين ، ثم يسأله أن يهديه الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم بالهدى غير المغضوب عليهم الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة ، ولا الضالين الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقالوا آمنا وما هم بمؤمنين .

وهو بهذا يوفى ربه حقه ، ويسأله أن يهديه الى ما يوفى به حقوق خلقه والقيام بحقوق الخالق وخلقه هو ما قصد اليه القرآن وهو ما أجملته سورة الفاتحة .. ولهذا كانت فاتحة الكتاب ، ولهذا وجب على كل مسلم أن يقرأها فى كل صلاة ليكون على ذكر دائم بجملة مقاصد القرآن ، فالصلاة أس العبادة وسورة الفاتحة أس الصلاة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » .

وفى سورة الفاتحة بيان بالاجمال للفرق الثلاث التى افترق اليها الناس أمام الصراط المستقيم : فريق الذين أنعم الله عليهم ، وفريق المغضوب عليهم ، وفريق الضالين .

وفى أول سورة البقرة بيان بالتفصيل للفرق الثلاث التى افترق اليها الناس بازاء الاهتداء بالقرآن :

١ - **فريق المتقين** الذين اهتدوا بالقرآن الى الصراط المستقيم ، وهؤلاء هم الذين عمرت قلوبهم فآمنوا بالغيب ، وآمنوا بما أنزل على رسل الله من الكتب والبينات ، وأيقنوا بأن لهم معادا الى ربهم ، وحياة آخرة يجزون

فيها بما كسبوا من خير وشر ، وصلحت أعمالهم فأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقهم الله ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .

٢ - **وفريق الكافرين الجاحدين** ، الذين صموا آذانهم عن الاستماع الى دعوة الهدى وأصروا واستكبروا على جحودهم وعنادهم فلم يهتدوا بالقرآن، ولم يستضيئوا بنوره ، ولم يفلح معهم ترغيب ولا ترهيب . وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . أولئك ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم .

٣ - **وفريق المنافقين المذبذبين** الذين أظهروا أنهم مع المؤمنين وأضمروا أنهم مع الكافرين ، فما اهتدوا بالقرآن كما اهتدى المتقون ، ولا أصموا عنه آذانهم ، وأغلقوا دونه قلوبهم ، كما فعل الكافرون، بل حاروا وضلوا وجمعوا بين خبث المنافقين وحيرة الضالين.. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

وهذه الفرق الثلاث التى فصل الله صفات كل فريق منها وجزاءه هى التى ذكرها الله اجمالا فى سورة الفاتحة ، اذ قال عز شأنه : « **صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين** » فالذين أنعم الله عليهم هم المتقون ، أنعم الله عليهم فصدق ايمانهم وصلح عملهم ، فهداهم الصراط المستقيم ، وهم على هدى من ربهم ، وهم المفلحون الفائزون .

والمغضوب عليهم هم الكافرون الجاحدون الذين زاغوا عن الحق وعن دعوة القرآن فأزاغ الله قلوبهم وجعل فى آذانهم وقرا وعلى أبصارهم غشاوة، وليس أدل من هذا على غضب الله وسخطه .

والضالون هم المنافقون الحائرون الذين قالوا آمنا وما هم بمؤمنين .. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

وقد ذكر الله المتقين وصفاتهم وجزاءهم فى آيات أربع ، وذكر الكافرين وجزاءهم فى آيتين ، وأسهب فى المنافقين فأبان حقيقتهم وجهلهم وغرورهم وضرب الأمثال تصويرا لخسرانهم وعذابهم وحيرتهم فى ثلاث عشرة آية ، وذلك لأن النفاق شر على الدعوة من الكفر الصراح ، لأن الكافر المصارح عدو محارب مجاهر ، فالمؤمنون على حذر منه ، فيتقون شره ، ويفلون سلاحه ، وأقواله وأفعاله ، بشأن الايمان لا تبلغ من القلوب مبلغها ، لانها أقوال عدو وأفعال خصم .

أما المنافق فهو يظهر الايمان ويبطن الكفر ، ويبلغ بنفاقه من الكيد للمؤمنين ولدينهم ما لا يبلغه الكافر المصارح ، لأنه بظاهره الكاذب ينقل عنهم ما يشوه دعوتهم وينقل اليهم ما يثبط عزيمتهم وقد قاسى المسلمون فى بدء الاسلام من دس اليهود وخبث المنافقين أشد مما قاسوه من عنت المشركين .. وكل أمة تشقى بالمنافقين منها أكثر مما تشقى به من أعدائها المجاهدين .